﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣﴾ [الرحمن: 19 - 23]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الامتنان بتسخير البحرين للمنافعِ والزّينةِ

لمّا ذكر تعالى المشرقَين والمغربَين، وهما حركتان في الفُلك؛ ناسبَ ذلكَ ذِكرُ البحرين؛ لأنَّ الشَّمس والقمر يجريان في الفلك كما يجري الإنسان في البحر، فذكر البحرين عقيبَ المشرقين والمغربين، ولأنَّ المشرقين والمغربين فيهما إشارةٌ إلى البحر لانحصار البرِّ والبحر بين المشرق والمغرب[1]، وأشار في ذلك إلى الامتنانِ منه تعالى بإرسال البحرين: المِلْح والعَذْب، بأنْ جعلهما مضطَرِبَين في طبعهما، فهما يتماسّان على ظهر الأرض، بلا فصل بينهما في رؤية العين وفي باطنها، وإنْ كان اللّهُ تعالى بقدرته المطلقةِ جعلَ بينهما حاجزًا عظيمًا يمنعهما مع الالتقاء من الاختلاط، فلا يَطغَيان، ولا يبغي واحد منهما على الآخر بالممازجة، ولا يتجاوزان ما حَدَّه لهما خالِقُهما ومُدَبِّرُهما، لا في الظّاهر ولا في الباطن، فخَلَطَهما اللّهُ تعالى في رأي العين، وحجز بينهما في رأي عين القُدرة؛ ولذا فقد كرَّر تعالى تبكيت المُكذِّبينَ المعاندينَ؛ ليَدْعوَهم إلى الاعتبار بهذه الأصول من أنواع الموجودات، ثمَّ زادَ في بيانِ الامتنانِ بمزيدٍ من النِّعم والآلاء الدّاعيةِ للتَّفكُّر والاعتبارِ، فذكر ما يخرج منهما من اللُّؤلؤ الذي هو في غاية البياض والإشراق والصَّفاء، والمَرْجان التي هي في غاية الاختلاط والحُمرة؛ لبيانِ الامتنان بالمغايرة بينهما في الألوان والمنافع والأحجام، ولمّا كان ذلك من جليل النِّعم؛ كرَّرَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 350.

التَّقرير والتَّوبيخَ لكلِّ من أنكر هذه الصَّنائع العظمى، من خَلْق المنافع الكثيرة في البحار، وتسليط البشرِ عليها بتسيير السُّفن، وإخراجِ الحُليِّ الغريبة وغيرها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَرَجَ﴾: (مرج) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على مَجيءٍ وذَهابٍ واضْطِرابٍ، ومَرِجَ الخاتَمُ في الإصْبَعِ: قَلِقَ[2]، والمعنى المِحوريُّ: حركةٌ مختلفةُ الاتِّجاهات لما يُفْتَرض استقرارُه[3]، ومعنى ﴿مَرَجَ﴾ هاهُنا: خَلَّى، وأرْسَلَ، وأهْمَلَ، يُقالُ: مَرَجَ السُّلْطانُ النّاسَ؛ إذا أهْمَلَهُم[4]، ومَرَج اللّهُ البحرينَ العذبَ والمِلْحَ: خلطهما حتّى التقيا، وقيل: أرسلهما، ثمَّ يلتقيان بعدُ، وقيل: خلّاهما، ثمَّ جعلَهما لا يلتبس ذا بذا[5]، وفي المرادِ بـ﴿مَرَجَ﴾ هاهُنا أقوالٌ، منها: تفريقُ البحرين، أو إسالةُ البحرين، أو استواء البحرين[6].

2) ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أصل البَحْر كلُّ مكانٍ واسعٍ جامعٍ للماءِ الكثيرِ، ثمَّ اعتُبِر تارةً بسَعة المعاينة، فيقال: بَحَرْتُ كذا: أوسعتُه سعةَ البحر، تشبيهًا به، ومنه: بَحرْتُ البعير: شققت أُذنَه شقًّا واسعًا، ومنه سُمّيت البَحيرَة، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: 103]، وسمّوا كلَّ متوسِّع في شيء بَحْرًا، حتّى قالوا: فرسٌ بحرٌ، باعتبار سعةِ جَريه، وللمتوسِّع في علمه بَحْرٌ، وقد تَبَحَّرَ، أي: توسَّع في كذا[7]، وفي المرادِ بالبحرين هاهُنا أقوالٌ، الأوَّل: البحرُ المالحُ والأنهارُ العذبةُ. الثّاني: بحرُ فارس واليمن، وبحر الرّوم. الثّالث: بحرُ السَّماءِ وبحرُ الأرضِ. الرّابعُ: بحرُ المشرقِ وبحرُ المغرب يلتقي طرفاهما. الخامس: بحرُ اللُّؤلؤ وبحرُ المَرجان[8]، والأوَّل أرجحُها.

3) ﴿بَرْزَخٌ﴾: البرزخُ: الحائلُ بين الشَّيئين، كأنَّ بينهما بَرازًا، أي: متَّسعًا من الأرضِ، ثمَّ صار كلُّ حائلٍ برزخًا، فالخاءُ زائدةٌ[9]، ومن ثمَّ فالمعنى المِحوري: مَعْبَرٌ باطنيٌّ جَوفيٌّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 159 - 163.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مرج).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (مرج).
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 162.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (مرج).
(6) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 430.
(7) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (بحر).
(8) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 429.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برزخ).

من خلالِ حاجزٍ بين أشياء[1]، والبرزخ في القيامة: الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرَّفيعة في الآخرة، وقيل في الوسوسة: هي بَرازِخُ الإيمان، أي: ما بَيْنَ الشَّكِّ واليَقين، وقيلَ: هوَ ما بَيْنَ أوَّل الإيمان وآخِرِه، والبَرزخُ: ما بين الدُّنيا والآخرة قبلَ الحشر، أي: من الموت إلى البعث[2]، وأمّا المرادُ بالبرزخِ في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾؛ فهو الحاجزُ بين البحرين: المِلْحِ والعَذْبِ، وهو حاجز وهْميٌّ؛ إذ العَذْب من المِلْح وإليه[3]، وقيلَ فيه: إنَّهُ عَرْضُ الأرْضِ، وقيل: إنَّهُ ما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، وقيل: جَزيرَةُ العَرَبِ[4].

4) ﴿يَبْغِيَانِ﴾: (بغي) أصلان، أحدهما: طلبُ الشَّيءِ، والثّاني: جنسٌ من الفسادِ، فمن الأوَّل: بَغَيتُ الشَّيءَ أبغيه؛ إذا طلبتُه، والبُغيَة والبِغية: الحاجةُ، والأصل الثّاني: قولهم بغى الجرحُ؛ إذا ترامَى إلى فسادٍ، ومنه أن يبغيَ الإنسانُ على آخرَ، ومنهُ بَغْيُ المطرِ، وهو شدَّته ومعظمُه، والبَغْيُ: الظُّلمُ[5]، والمعنَى المحوريُّ: تزايدُ الشَّيءِ نموًّا وقوَّةً أو توصُّلًا لاكتمالِ حالِه، ومنَ التَّزايُدِ جاء معنَى الطَّلبِ؛ لأنَّه ازديادٌ، ومنهُ أيضًا جاءَ معنى التَّجاوُزِ؛ لأنَّه تَعدٍّ وتَزايدٌ، فبغَى عليهم، أي: عدلَ عَنِ الحَقِّ واستَطال، وكلُّ مجاوزةٍ وإفراطٍ على المقدارِ الَّذي هو حدُّ الشَّيءِ بَغْيٌ، ومنهُ قولُهُ: ﴿۞وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: 27][6]، والمرادُ في قوله: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يبغي أحدُهما على الآخرِ بالممازجةِ وإبطالِ الخاصّيَّةِ، أو لا يتجاوزانِ حَدَّيهما بإغراقِ ما بينهما[7].

5) ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾: اللُّؤلؤةُ: الدُّرَّةُ، والجمع: اللُّؤلؤ واللَّآلئ، وتلألأ النَّجمُ والقمرُ والنّارُ والبَرقُ، ولألأ: أضاءَ ولمَعَ، وقيل: اضطرب بَريقُه، وفي صفته ﷺ : يتلألأ وجهُهُ تلألؤَ القمرِ، أي: يستنيرُ، ويشرقُ، وتَلَألَأت النّارُ: اضطربت، ولَألَأ الثَّورُ بذَنَبِه: حَرَّكَه[8]، والمعنى المحوريُّ: تركُّز الصَّفاءِ وما إليه من اللَّمعانِ، وانحصارُه في حيِّز بحيثُ يمتدُّ منه أثرٌ قويٌّ منتشر، كجِرْم اللُّؤلؤ في تَركُّزه في صَدَفه، مع انتشارِ بريقه؛ إذا أُخْرج، وبريق النَّجم،

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (برزخ).
(2) الرّاغب الأصفهانيّ، مفردات القرآن، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (برزخ).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (برزخ).
(4) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 429.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بغو، بغى).
(7) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 172.
(8) الخليل بن أحمد، كتاب العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لألأ).

كقولِه تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ [الواقعة: 22 - 23][1]، واللُّؤْلُؤُ - في أصله - حيوانٌ، داخلَ صَدَفةٍ جيريَّةٍ تَقيه من الأخطار، يُفْرِز مادَّة لَزِجة تتجمَّد مُكَوِّنَةً (اللُّؤْلؤ)[2]، واختلفتِ الأنظارُ في المُرادِ باللُّؤْلؤ على أقوالٍ، منها: أنَّه الدُّرُّ الكِبارُ، وقيل: بل هو الدُّرُّ الصِّغارُ، وقيل: اسمٌ جامعٌ للحبِّ الذي يخرج من البحرِ[3].

6) ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: مشتقٌّ إمّا من (مرج)، وعليه يكونُ فيه معنى الاضطرابِ والحركةِ والاختلاط[4]، وإمّا من (مرجن)، والمَرجانُ حيوانٌ بحريٌّ ذو أصابعَ دقيقةٍ، ينشأ ليِّنًا، ثمَّ يتحجَّرُ، ويتلوَّن بلونِ الحُمرة، ويتصلَّبُ كلَّما طالَ مُكْثُه في البحر، فيستخرج منه كالعروقِ تتَّخذ منه حِلْيَةً، والمرجانُ لا يَخْرج من ملتقى البحرين المِلْح والعَذب، بل من البحر المِلْح[5]، والمرادُ به إمّا صغارُ اللُّؤلؤ، وهو أشدُّ بَياضًا، ولذَلك خُصَّ الياقوتُ والمَرجان، فشُبِّه الحورُ العين بهما، وقالَ بَعضهم: هوَ جَوْهَر أحْمَر[6]، فإنِ اعتُبر في اللُّؤلؤ معنى التَّلألؤ واللَّمعان، وفي المَرجان معنى المَرج والاختلاط، فالأوفَق لذلك أنَّه الخَرَزُ الأحمر، وهو المشهورُ المتعارَف[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خلق اللّهُ تعالى البحرينِ، وأرسلهما بقدرته في مجاريهما، بحيثُ يلتقيان ويتَّصل أحدُهما بالآخر، ومع ذلك لم يختلطا، بل يبقى المالح على مُلوحته، والعَذب على عُذوبته؛ لأنَّ حِكمة اللّه قدِ اقتضت أن يُفْصَل بينهما بحواجزَ من أجرام الأرض، أو بخواصَّ في كلٍّ منهما، تمنعُهما هذه الخواصُّ وتلك الحواجز من أن يختلطا، ولولا ذلك؛ لاختلطا، وامتزجا، وهذا من أكبر الأدلَّة على قدرة اللّه تعالى ورحمته بعباده؛ إذ أبقى اللّه تعالى المالحَ على مُلوحتِه، والعَذْبَ على عُذوبته؛ لينتفعَ النّاس بكلٍّ منهما في مجال الانتفاع به،

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 172.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 138.
(3) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص: 438، وابن جرير الطبري، جامع البيان: 25/ 218، والزّجّاج، معاني القرآن: 5/ 100، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 162، والآلوسيّ، روح البيان: 14/ 105.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مرج).
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 250.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (مرجن).
(7) الآلوسيّ، روح البيان: 14/ 105.

فالماءُ العَذْب يُنتَفع به في الشَّراب للنّاس والدَّوابِّ والنَّبات، والماءُ المِلْح يُنتَفع به في أشياءَ أُخرى، كاستخراج المِلْح منه، وفي غير ذلك من المنافع، ومن بديع صُنع الله في هذا الكون، وجودُ البحارِ الهائلة والأنهارِ الكثيرة على سطح الأرض، ومع ذلك فكلُّ نوعٍ منهما باقٍ على خصائصه، مع أنَّ كُلًّا منهما قد يَلتقي بالآخر؛ وذلك بسبب ما في كلٍّ منهما من خصائصَ تدفع عنه اختلاطَ الآخرِ به، فلا يبغيان، ولا يتجاوزُ كلٌّ منهما حَدَّه المُقدَّر، ووظيفتَه المقسومةَ، وبينهما برزخٌ من طبيعتهما من صنع الله تعالى، وتصُبُّ جميعُ الأنهارِ تقريبًا في البحار، وهي التي تنقل إليها أملاحَ الأرض، فلا تُغيِّر طبيعةَ البحارِ، ولا تبغي عليها، فلا عجب أن يذكر الرَّحمنُ - تباركت آلاؤه - البحرين، وما بينهما من برزخ، في مجال الآلاء والنِّعم، ثمَّ يذكرَ بعضَ نعمِه المُختبئة في البحرين، ومِنها اللُّؤلؤُ والمَرجانُ، اللَّذانَ تُتَّخَذُ منهما الحُليُّ الغاليةُ الثَّمنِ، العاليةُ القيمةِ، التي تتحلّى بها النِّساء، والآية الكريمةُ صريحةٌ في أنَّ اللُّؤلؤ والمَرجان يخرجان من البحرين: المِلْح والعَذْب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: 12]، فإنَّ هذه الآية صريحة في أنَّ اللُّؤلؤ والمَرجان يخرجان من كِلا البحرين المِلْح والعذب، وقد أثبتت البحوث العلميَّة صحَّةَ ذلكَ، فقد عُثِر عليهما في بعض الأنهار العَذْبة، التي في ضواحي ويلز وإسكوتلاندا في بريطانيا[1].

مِن بالغِ الآلاء تسخيرُ البحارِ والأنهارِ للإنسانِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاستئنافِ في قولِه ﴿مَرَجَ﴾:

جاءَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ استئنافًا ابتدائيًّا، على طريقةِ السّورةِ الكريمةِ في الفصلِ بين ذِكر النِّعمِ والآلاء؛ لأنَّ

القدرةُ على التَّسخير من الدَّلائل الكافيةِ على بيانِ عظَمةِ اللهِ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 136 - 138.

الفصل هاهُنا أبلغُ في تأكيدِ عِظَمِ النِّعمة المَذكورةِ، وأنَّها وحدَها دليلٌ كافٍ على مبلغ اقتدارِ اللّهِ تعالى على تسخير ما في الكونِ، وذهب بعضُهم إلى أنَّ الجملةَ وقعتْ خبرًا آخَرَ عن الرَّحمن، قُصِد منه العِبرةُ بخَلق البحار والأنهار، وذلك خَلْقٌ عجيبٌ دالٌّ على عظَمةِ قُدرةِ اللّه وعِلْمه وحِكْمته[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿مَرَجَ﴾ مُتعدّيًا:

من دلائل القُدرةِ الرّبانيَّةِ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بصيغةِ المُضيِّ، في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ هذه الخصائصِ وثباتِها، فقد أودعَ تعالى مياهَ البحرين: المِلْحِ والعَذْبِ خصائصَها المُميِّزةَ لها، فأرسلها، وخلطها فجعلهما مضطَربين، من طبعهما الاضطراب[2] منذ خلقهما اللّهُ تعالى؛ فدلَّ التَّعبيرُ بالمُضيِّ على ثباتِ صفة القدرةِ للّه، وعبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالفعلِ ﴿مَرَجَ﴾ متعدّيًا، بخلافِ التَّعبيرِ بـ(مَرِجَ) في قولِه: ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾، وذلك لأنَّ (مَرَجَ) إذا كان متعدّيًا كان بمعنى خَلَط، أو ما يقرُب منه، أمّا المارِجُ والمَريجُ؛ فمن: (مَرِجَ يَمْرَجُ) كـ(فَرِحَ يَفْرَحُ)؛ فالأصل في (فَعِلَ) أن يكون غريزيًّا، والأصل في الغريزيِّ أن يكون لازمًا، ويثبت له حُكمُ الغريزيِّ، وكذلك فُعِل في كثيرٍ من المواضع[3].

معنى اللّام في ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ ودلالتها:

اللّام إمّا للجنس، أو للعهد الجنسيّ أو الحضوريّ

جاءتْ كلمةُ ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ معرَّفةً باللّام، وقد اختلفت أقوالُ العلماءِ في المرادِ بالبحرين، وأرجحُها: أنَّ المرادَ البحرُ المالحُ والأنهارُ العَذْبةُ[4]، وعلى هذا: فالتَّعريف فيها تعريفُ الجنسِ، الذي يفيد العمومَ، وقد يكون المقصودُ ما يعرفه العربُ من هَذَين

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 248.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 159.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 350.
(4) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 429.

النَّوعين، وهما نهرُ الفراتِ وبحرُ العجم، والتقاؤُهما انصبابُ ماء الفرات في الخليج، الذي في شاطئ البصرة، والبلادُ التي على الشّاطئ العربيِّ من الخليج تُعْرَف عند العرب ببلاد البحرين لذلك، وعليه فتكونُ اللّامُ لامَ تعريفِ العهدِ الجنسيِّ، ويجوز أن يكون المرادُ بحرين مالِحَين مُعَيّنَين، والتَّعريف حينَئذٍ تعريفُ العهدِ الحضوريِّ، فالمُرادُ: بحران معروفانِ للعرب، هما البحر الأحمر الذي عليه شُطوط تِهامة، مثل: جدَّةَ ويَنبُع النَّخل، وبحرِ عُمان، وهو بَحْر العرب الذي عليه حضرموت وعَدَن من بلاد اليمن[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالمفعول به مُثَنًّى ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾:

غلبةُ ظاهرة التَّثنيةِ أنسبُ لخطابِ الثَّقلَين

جاءَ لفظ ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ مُثنًّى، على ما في هذه السّورةِ منَ الاحتفالِ بظاهرةِ التَّثنية؛ لأنَّ الخطابَ فيها - على ما ذهب إليه غالبُ المفسِّرين - للثَّقلَين: الإنسِ والجنِّ، أو هو للمؤمنين والكفّارِ، وكذلك لأنَّها سورةُ تعدادِ النِّعَم، فالتَّعبيرُ بالمُثنّى أنسبُ للسّياقِ، والمراد: تثنية نَوْعَي البحر، وهما البحر المِلْح والبحر العَذْب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ [فاطر: 12]، وهوَ الأوفقُ للسّياقِ؛ لأنَّ القرآن يفسِّرُ بعضُه بعضًا[2].

سِرُّ التَّقييدِ بالحالِ جُملةً فعليَّةً في صيغة المضارعةِ:

في التَّعبير بالالتقاء دليلٌ على طلاقة القدرة

قيَّدَ البيانُ القرآنيُّ مَرْجَ البحرينِ بالفعلِ ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾؛ لأنَّ مُجرَّدَ المَزْجِ اختلاطٌ واضطرابٌ، فبيَّنَ هذا القيدُ أنَّ البحرينِ يتماسّان، ويتجاورانِ بلا فصلٍ بين الماءين في رؤية العين، فأرسلَهما، وتركَهما يلتقيان، ولكنَّهما لا يبغيان، ولا يتجاوزُ كلٌّ منهما حَدَّه المُقَدَّر، ووظيفتَه المقسومةَ، وبينهما بَرزخٌ من طبيعتهما من صُنعِ الله،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 249.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 105.

وتقسيم الماء على هذا النَّحو في الكرة الأرضيَّة لم يجئْ مصادفةً ولا جُزافًا، فهو مُقَدَّرٌ تقديرًا عجيبًا، وهذا القَدْر من الماء المالح هو اللّازم بدقَّةٍ لتطهير جَوِّ الأرض وحِفْظِه دائمًا صالحًا للحياة، فالفائدةُ: إظهارُ القدرة في النَّفع، فإنَّه إذا أرسل الماءين بعضَهما على بعض، وفي طبعهما - بخَلْقِ الله وعادته - السَّيَلانُ والالتقاء، ويمنعُهما البَرزخُ الذي هو قُدرةُ اللهِ أو بقدرة الله، يكون أدَلَّ على القدرة ممّا إذا لم يكونا على حال يلتقيان، فمن شأنهما أن يكون مكانُهما واحدًا، ثمَّ إنَّهما بقيا في مكان متميّزين؛ فذلك برهانُ القُدْرة والاختيار[1]، وعبَّرَ بالجملةِ الفعليَّةِ ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ الالتقاءِ بين هذه المياهِ، في أنهارِ العالَم وبحارِه، أو بفعل المَدِّ والجَزْرِ اللَّذَين يتعاقبان كلَّ يومٍ بفعل حركةِ القمر.

بلاغةُ التَّعبير بالاستعارةِ في ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾:

وجودُ القُدرةِ مانعٌ من الاختلاطِ

في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ استعارةٌ فيها تشخيصٌ للبحرين، فكأنَّهما شخصانِ يتصافحانِ، والمُرادُ بها: أنَّه سبحانه أرسل البحرين طاميَيْن، وأمارَهُما مائعين، وهما يلتقيان بالمقاربة، لا بالمُمازجة، فبينَهما حاجزٌ يمنعُهما من الانخراق، ويَصدُّهما عنِ الاختلاط[2].

الغرضُ من التَّقديمِ:

الاهتمامُ بتقديمِ مناطِ القُدرةِ بحَجزِ أحدِ الماءَين عن الآخرِ

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ الظَّرفَ ﴿بَيْنَهُمَا﴾ على المبتدأ ﴿بَرْزَخٌ﴾؛ للاهتمام ببيانِ مناطِ القُدرةِ المُطلقةِ بحَجز أحدِ الماءَين عن الآخر، فلا يَبغي بعضُهما على بعضٍ، بل رغم التقائِهما؛ فإنَّ خصائصَ كلِّ ماءٍ كما هي دونَ تغيُّرٍ؛ لأداء دَورِه في الحياةِ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 350.
(2) الموسوعة القرآنية، خصائص السور: 9/ 106.

الغرضُ من تنكيرِ المبتدأِ ﴿بَرۡزَخٞ﴾:

التَّنكيرُ لإفادَةِ العمومِ، ولتعظيمِ قُدرةِ اللهِ في خَلْقِ الكونِ

جاءتْ كلمةُ ﴿بَرۡزَخٞ﴾ نكرةً لإفادَةِ العموم، ومن هذا العموم تعدَّدت آراءُ العلماء في المرادِ بها، فالرّاجح: أَنَّهُ حاجزٌ وهْميٌّ؛ إذِ العَذْبُ من المِلْح وإليه، فهو حاجزٌ من قدرةِ اللّهِ - تباركت آلاؤه - في جَعْل خصائصِ كلِّ ماءٍ على ما هو عليه رغمَ الالتقاء، وقيلَ فيه: إنَّهُ عَرْضُ الأرْضِ، وقيل: إنَّهُ ما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، وقيل: جَزيرَةُ العَرَبِ[1]، وكذلك فإنَّ في تنكيرها تعظيمًا لهذا البَرزخِ، فهو حاجزٌ عظيمٌ دالٌّ على قُدرةِ اللّهِ الباهرةِ المُجَرَّدَةِ[2]، فإنَّ في بيانِ عظَمة المخلوق دليلًا على عظمةِ الخالقِ تعالى.

سِرُّ التَّقييدِ بالحالِ جُملةً فعليَّةً في صيغة المضارعةِ:

لا يتجاوزُ أحدُ الماءين حَدَّه الذي حَدَّه له الخالقُ تعالى

قيَّدَ النَّظمُ الجليلُ قولَه: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ بالجملة الحاليَّةِ الفعليَّة ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ القدرةِ على منعِ أحدِ الماءين من إفسادِ الآخر، رغمَ الالتقاء والتَّماسِّ الظّاهريِّ بينهما، فلا يتجاوز كلُّ واحدٍ منهما ما حَدَّه له خالقُه، فالماءُ العَذْبُ الدّاخلُ في المِلْحِ باقٍ على حاله لم يمتزج بالمِلْح، فمتى حَفَرت في جنب المِلْح في بعض الأماكن؛ وجدتَ الماءَ العَذْب، بل كلَّما قَرُبت الحُفْرة من المِلْح؛ كان الماء الخارج منها صالحًا، فخَلَطَهما اللّهُ في رأي العين، وحَجَزَهما بقُدرته تعالى، وإذا كان هذا حال جمادٍ لا إدراكَ له ولا عقل؛ فكيف يبغي العقلاءُ بعضهم على بعض؟[3]، وعبَّرَ بالجملةِ الفعليَّةِ ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ تدَخُّل القُدرةِ الإلَهيَّة المُطلقةِ في منعِ الإفسادِ؛ حفظًا لصلاح الأرضِ لحياةِ الثَّقلَين.

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 429.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 160.
(3) الصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 6/ 501.

توجيه المتشابه اللَّفظي بين سورتَي الرَّحمن والفرقان:

في سورةِ الرَّحمنِ النَّعيمُ والرَّحمةُ، وفي سورة الفرقان الحجيمُ والشِّدَّةُ

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ في سورة الرَّحمنِ بقولِه: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾، بما في هذا التَّعبير من اللُّطفِ والرَّهافةِ؛ لأنَّ سورةَ الرَّحمنِ هي سورةُ الآلاء والنِّعم والرَّحماتِ، وأمّا في سورةِ الفرقانِ؛ فقال: ﴿*وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٥٣﴾ [الفرقان: 53]؛ وذلك لمناسبة السّورة للشِّدَّةِ على المجرمين واستغاثتهم من عذاب النّارِ، في قوله: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٢٢﴾ [الفرقان: 22][1].

بلاغة التَّعبير بالكنايةِ في ﴿يَبۡغِيَانِ﴾:

في التَّعبير بالبغي دلالةٌ على مكانِ القُدرةِ الإلهيَّة في صلاحِ الكونِ

آثَر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بمادَّةِ البغي في ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾؛ وذلكَ لِما فيهِ من الدَّلالَةِ على العُدوانِ والظُّلم، ولما فيه من الدَّلالة على شِدَّة الطَّلبِ والتَّجاوزِ والرَّغبةِ في الازديادِ[2]، فكأنَّ كلَّ ماءٍ من الماءين فيه حرصٌ على التَّعدّي على الآخرِ، ولكنَّ القدرةَ الإلهيَّةَ منعتْ سريانَ أحدِ الماءين في الآخرِ، كما في قولِه: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ [النّمل: 61]، ومعنى قوله: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾، أي: لا يغلب أحدُهما على الآخر، فيقلبُه إلى صفته، إمَّا المِلْح على العَذْب، أو العَذْب على المِلْح، وكنَّى تعالى بلفظ البغي عن غلبة أحدهما على صاحبه؛ لأنَّ الباغي في الشّاهد اسمٌ لمَن تغلَّب من طريق الظُّلم بالقوَّة والبَسْطة، والتَّطاولِ والسُّطوة[3].

بلاغةُ التَّشبيه في ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾:

منع غلبة أحد خصائصِ الماءين على الآخر تشبيهٌ بمنع الفسادِ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ تشبيهٌ بليغ، أي: بينهما مثلُ البَرزخِ، وهو معنى ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾، أي: لا يبغي أحدُهما

(1) امّحمّد صافي المستغانميّ، برنامج في رحاب سورة، الآيات من 7 - 23.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بغي).
(3) الشّريف الرّضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص: 321.

على الآخر، أي: لا يَغلب عليه، فيفسد طعمَه، فاستُعير لهذه الغَلبة لفظُ البغي الذي حقيقتُه الاعتداءُ والظُّلم[1].

بَيانُ المرادِ بـ (الآلاء) في هذا الموضعِ:

في إرسالِ الماءين نعمةٌ، وفي حفظِهما نعمة مماثلةٌ

عبَّرَ النَّظمُ الحكيمُ في ختام الآياتِ بلفظِ الآلاء على عادةِ السّورةِ في نظمها العجيب، والمرادُ بالآلاء هاهُنا: نعمةُ إرسال أحدِ الماءين على الآخرِ؛ إذ لو لم يُرسلهما؛ لجَفَّ الماءُ المالحُ على المدى البعيد بعاملِ التَّبَخُّرِ، ولجفَّ الماء العذب بعد مدَّةٍ كذلك، ففي إرسالهما حفظٌ لهما، ومن النِّعم والآلاء كذلك احتفاظُ كلِّ نوعٍ من البحرين بخصائص مائه، سواء أكان ماءً مِلْحًا أو عَذْبًا، فلا يُفْسِدُ أحدُهما الآخرَ؛ حفظًا للأرضِ لكي تكونَ صالحةً لبقاء الثَّقلَين.

دلالةُ الاستئنافِ في قولِه: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا﴾:

الجملةُ إمّا مستأنفةٌ للتعدادِ، أو بيانية لحالِ المِنَّةِ

قولُ اللهِ تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾، إمّا أن يكونَ استئنافًا ابتدائيًّا[2]، على طريقةِ السّورةِ الكريمةِ في الفصلِ بين ذِكر النِّعم والآلاء؛ لأنَّ الاستئناف هاهُنا أبلغُ في تأكيدِ عِظَمِ النِّعمةِ المذكورةِ، فهي امتنانٌ بذِكر النِّعمة المستخرجة من البحرِ، كما مَنَّ بذِكرِ ما ينبت في البَرِّ من الفاكهة والنَّخل والحَبِّ والعَصْفِ، وإمّا أن يكون الفصلُ لأنَّ الجملةَ وقعت حالًا من البحرين[3]؛ إذِ التَّقدير: (مرجَ البحرين يلتقيان خارجًا منهما اللُّؤلؤُ والمرجانُ).

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَخۡرُجُ﴾:

تجدُّدُ استخراجِ اللُّؤلؤِ والمَرجانِ من تجدُّدِ النِّعمِ والآلاءِ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بصيغةِ المضارعةِ؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ استخراج اللُّؤلؤِ والمَرجانِ من البحارِ المَلِحةِ والأنهارِ العَذْبةِ، أو من بَحرَي الرّوم وفارس، وفيه امتنانٌ بتجدُّدِ النِّعَمِ والآلاء واستمرارِها.

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 249.
(2) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 199.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 249.

توجيهُ القراءاتِ الواردةِ في ﴿يَخْرُجُ﴾:

في القراءتين امتنانٌ بالتَّسهيل، وامتنانٌ بمنح القُدرةِ

وردَت في قول اللّهِ تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ قراءتان، فقرأ المَدَنيّانِ والبَصريّانِ بضمِّ الياءِ وفتحِ الرّاءِ ﴿يُخْرَجُ﴾، وقرأ الباقونَ بفتحِ الياء وضَمِّ الرّاءِ ﴿يَخْرُجُ﴾[1]، أمّا على القراءة الأولى؛ فهو من الإخراج؛ لأنَّه يُخْرَجُ، ولا يَخْرُجُ بنفسه[2]؛ ولأنَّ كلًّا من وجودِه فيه والتَّسليطِ على إخراجِه منه خارقٌ من غير نظرٍ إلى مُخْرِجٍ مُعَيَّنٍ، والنِّعمةُ نفسُ الخروج[3]، فهو امتنانٌ بمَنحِ القُدرةِ على الاستخراجِ، وعلى القراءة الثّانية: فهو اتِّساعٌ، وذلك أنَّه إذا أُخرِجَ؛ فقد خَرَجَ[4]، ففيها امتنانٌ بتسهيل خروجِهما.

معنى (مِنْ) في قولِه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾:

(مِنْ) إمّا أن تكونَ ابتدائيَّةً، أو سببيَّةً

جاءتْ (مِنْ) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿مِنْهُمَا﴾ إمّا ابتدائيَّةً، إن كان المُراد بالبحرين: بحرين معروفَين من البحارِ المَلِحة؛ لأنَّ اللُّؤلؤَ والمَرجانَ يكونان في البحر المِلْحِ، والمرادُ: الابتداء العقليُّ، كما يقال: خَلقَ اللّهُ آدمَ من تراب، فكذلك اللُّؤلؤ يخرج من الماء، أي: منه يتولَّد، وأمّا إنْ كان المراد بالبحرين: البحر المِلْح، والبحر العَذْب، فتكونُ (مِن) للسَّببيَّة، كما في قوله تعالى ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النّساء: 79]، أي: يخرج اللُّؤلؤُ والمَرجانُ بسببهما، أي: بسبب مجموعهما[5].

الغرضُ من تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

التَّقديمُ للاختصاصِ والاهتمامِ بإظهارِ الامتنانِ

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرورَ ﴿مِنْهُمَا﴾ على الفاعلِ ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ لبيانِ اختصاصِ استخراجِ اللُّؤلؤِ والمرجانِ من البحرين كليهما؛ ولأنَّ في التَّقديمِ اهتمامًا بما في البحرين منَ النِّعَمِ والآلاءِ.

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 380 - 381.
(2) أبو العلاء الكرمانيّ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ص: 389.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 161.
(4) أبو العلاء الكرمانيّ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ص: 389.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 350، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 249 - 250.

توجيهُ الأقوالِ في عودِ الضَّميرِ في ﴿مِنْهُمَا﴾:

لكلِّ قول ما يؤيِّده، وما يقوّيه من الكشف العلميّ

في عودِ الضَّميرِ في قولِه: ﴿مِنْهُمَا﴾ عددٌ من الأقوالِ بناءً على الاختلافِ في المرادِ بالبحرين[1]، **الأوَّل:** يخرجان من نوعَي الماءِ جميعًا: المالح والعَذْبِ. **والثّاني:** يخرجان من المالح في المواضع التي يلتقي فيها بالعَذْبِ. الثّالث: يخرجان من بحري فارسٍ والرّوم، ولا إشكال في هذه الوجوه، والأخير منها على وجه الخصوص[2]، والقولُ الرّابعُ: يخرجان من المالحِ فقط دون العَذْب، حسبما هو مُشاهَدٌ معلومٌ عند الأقدمينَ، وكلُّ ذلك له ما يؤيِّده من الواقع، وما يقوّيه من الكشف العلميِّ.

معنى اللّام ودلالتُها في ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾:

اللّامُ جنسيَّةٌ لاستغراق صفات الجمال في اللُّؤلؤِ

جاءَ لفظُ ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ معرَّفًا باللّام؛ للدَّلالةِ على الامتنانِ بنعمة جنسِ اللُّؤلؤِ؛ لما له من قيمة نفيسةٍ، يُباهي بها مَن يمتلكه، فاللّامُ هاهُنا جنسيَّةٌ لاستغراق صفاتِ الجمال في اللُّؤلؤِ، والمرادُ باللُّؤلؤِ هاهُنا حبَّةُ اللُّؤلؤِ نفسُها، لا حيوانُ اللُّؤلؤ، الذي هو حيوان مائيٌّ حلزونيٌّ مستقرٌّ في غلافٍ ذي دفَّتَين مُغْلَقتَين عليه، يفتحُهما بحركة حيويَّةٍ منه؛ لامتصاص الماء الذي يسبح فيه، ويُسمّى غلافُه صدفًا، فتوجَد في جوف الحيوان حَبَّةٌ ذاتُ بريقٍ، وهي تتفاوت بالكِبَر والصِّغَر، وبصفاء اللَّون وبياضِه[3].

دلالةُ العطفِ:

تعدُّدُ النِّعم ومغايرتُها أدعى لاستجلابِ الشُّكرِ

عطفَ النَّظمُ الحكيمُ ذِكرَ (المَرْجانُ) على ذِكرِ اللُّؤلؤِ؛ لبيانِ مزيدِ

(1) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: 4/ 197، والفرّاء، معاني القرآن: 3/ 115، والزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 100، والواحديّ، التّفسير البسيط: 21/ 155، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 228، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 350، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 60، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 180، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 106 - 107، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 105، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 249 - 250.

(2) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 132.

(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 249.

الإنعام بما وهبَ للنّاس من نتاج البحرين، وفي العطفِ بيانٌ لجزيل الإنعام بنوعٍ مغايرٍ لسابقهِ بالمغايرة في الألوان والمنافع والأحجام، وهذه المغايرةُ بين الأنواع أدْعَى لاستجلاب الشُّكرِ، وأدلُّ على طلاقةِ القُدرةِ، ولذا كان التَّعقيب بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَبِأَيِّ﴾:

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم؛ لبيان منَّتِه تعالى بتسخير الكونِ الكبيرِ للثَّقلَين، فكأنَّ أصل الكلام: إذا عرفتم هذه النِّعمةَ العظيمةَ، وما سبقها من النِّعم والآلاء، وكان ثبوتُها واقعًا لا محالةَ؛ فبأيِّها تُكَذِّبان؟ إذ لا سبيلَ إلى التَّكذيبِ، فلا بدَّ من الإقرار التّامِّ، والتَّصديق الكاملِ والإيمان الحقِّ، فهذه النِّعم دليلُ تفضُّلِه وإنعامِه، ولمّا كانت من جليل النِّعم؛ فقد كرَّرَ التَّقريرَ والتَّوبيخَ لكلِّ مَن أنكرَها.

بعد تعديد النِّعَمِ والآلاء يأتي تفريعُ التَّصديق والإيمان

بيانُ المرادِ بـ ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا الموضع:

جاء قولُ اللّهِ تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بعد أنْ عدَّدَ البيانُ القرآنيُّ مجموعةً من النِّعَمِ الجليلةِ، هي الامتنان بنعمة مَرْجِ البحرين مع الإبقاءِ على خصائصهما صالحةً لحفظ الحياةِ، وبنعمةِ إخراج اللُّؤلؤ والمَرجانِ، للزّينة والتِّجارة وغيرهما[1].

الآلاء هي الامتنانُ بمَرجِ البحارِ واستخراج اللُّؤلؤ والمَرجانِ للزّينة والتِّجارة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(يَبْغيانِ) و(يَظْلمانِ) و(يَطْغَيانِ):

البَغْيُ له معنيانِ، أحدهما: طلبُ الشَّيءِ، والثّاني: جنسٌ من الفسادِ، وفيه معنى الشِّدَّةِ والظُّلم[2]، والمعنَى المحوريُّ: تزايدُ الشَّيءِ نموًّا وقوَّةً أو توصُّلًا لاكتمالِ حالِه، ومنَ التَّزايُدِ جاء معنَى الطَّلبِ؛ لأنَّه ازديادٌ، ومنهُ أيضًا جاءَ معنى التَّجاوُزِ؛ لأنَّه تَعدٍّ وتزايدٌ، فبغَى

الطُّغيانَ أشدُّ من الظُّلمِ؛ لاشتماله على مجاوزة الحَدِّ والمبالغة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 163.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).

عليهم، أي: عدلَ عَنِ الحَقِّ واستَطال، وكلُّ مجاوزةٍ وإفراطٍ على المقدارِ الَّذي هو حدُّ الشَّيءِ بَغْيٌ، ومنهُ قولُهُ: ﴿۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشّورى: 27][1]، والمرادُ في قوله: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾: لا يبغي أحدُهما على الآخرِ بالممازجةِ وإبطالِ الخاصّيَّةِ، أو لا يتجاوزانِ حدَّيهما بإغراقِ ما بينهما[2].

وأمّا الطُّغيان؛ فالأصلُ فيه تجاوزُ الحدِّ والغُلوُّ في ذلك، ويشمل الإفراطَ في المعصية والكِبْر والكفر[3]، وهو بذلك أشدُّ من البَغي والظُّلم، والمعنى المِحوريُّ: ارتفاعُ الشَّيءِ باستغلاظٍ وتجاوزٍ حتّى يَغْشَى، ويُغَطّي ما حولَه[4].

وأمّا الظُّلم؛ فإنَّ معانيه كلَّها تدور حولَ منعِ الحَقِّ ومجاوزته، ووضع الشَّيء في غير موضعه، ومعناه المِحوريُّ: هو المَيل عن القَصد والتّعدّي، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا، حيثُ يتراوح الظُّلمُ ما بين أكبر الكبائر، وهو الشِّرك بالله ﷻ، وبينَ ارتكاب صغائر الذُّنوب، فالمادَّتانِ مشتركتان في معنى مجاوزة الحدِّ، ولكنَّ الطُّغيانَ أشدُّ من الظُّلم؛ لاشتماله على مجاوزة الحَدِّ والمبالغة في الكِبْر والمعصية والشَّرِّ والكفر، والظُّلمُ أدنى من الطُّغيان؛ إذ تتفاوت درجاتُه من صغائر الذُّنوب إلى كبائرها، إلى الشِّرك بالله ﷻ[5].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بغو، بغى).
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 172.
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (طغى).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (طغو، طغي).
(5) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 144 - 148.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"